جـــامعة الأزهـــر
كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها
بطنـــــــطا

المحافظة على الذِّكر الحَسن ؛ من خلال القصص القرآني

إعداد

د. روان فوزان الحديد
أستاذ مساعد- كلية القرآن الكريم
الجامعة القاسميّة- الإمارات العربية المتحدة

Dr. Rewan Fouzan Al Hadid
Assistant Professor – College of the Holy Quran
Al Qasimia University – United Arab Emirates

٤٥ / ١٤٤٦هـ = ٢٠٢٤م

المحافظة على الذِّكر الحَّسن؛ من خلال القصص القرآني

روان فوزان الحديد

كلية القرآن الكريم، الجامعة القاسميَّة- الإمارات العربية المتحدة

الإيميل الجامعي : ralhadid@alqasimia.ac.ae

الملخص:

قصد هذا البحث إلى تدبر القصص القرآني للكشف عن مواطن تعزيز المحافظة على الذكر الحسن، وكيفية تعزيز القرآن الكريم لها، مع تتبع الهدايات القرآنية؛ لتفعيلها في الواقع، والاقتداء بالشخصيات القرآنية لحيازة رضوان الله.

وتتطلب طبيعة هذا الموضوع استخدام المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والوصفي؛ وذلك بعد استقراء الآيات؛ وتقسيمها وتحليل نتائجها؛ يتم الربط بين تلك النتائج للكشف عن كيفية تعزيز المحافظة على الذكر الحسن في القصص القرآني.

ومن أهم نتائج هذا البحث: عزز القصص القرآني المحافظة على الذكر الحسن؛ بالقول أو الفعل؛ فالمسلم يحافظ على ذكره الطيب بدافع فطري إيماني، بكل أحواله؛ ضد مهددات الذكر الحسن وهي: الاتهامات والقبائح بشتى ألوانها، يتعدى فضل الذكر الحسن للمسلم ليشمل الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: الذِّكر الحَّسن، القصص القرآني، القيم الإنسانية.

Maintaining good remembrance; Through Quranic stories

Rawan Fawzan Al-Hadid

College of the Holy Quran, Al Qasimia University - United Arab Emirates

University email: ralhadid@alqasimia.ac.ae

Abstract

This research aimed to examine the Qur'anic stories to reveal ways to enhance the value of maintaining a good reputation, and how the Qur'an enhances it, while following the Qur'anic guidance; to implement it in reality, and to imitate the Qur'anic figures in order to gain God's pleasure.

The nature of this topic requires the use of inductive, analytical, and descriptive approaches; this is after extrapolating the verses; dividing it and analyzing its results; These results are linked to reveal how to enhance the preservation of good remembrance in Qur'anic stories.

Among the most important results of this research: Qur'anic stories reinforced the value of preserving good remembrance. By word or deed; The Muslim preserves his good remembrance out of an innate motive of faith, in all his circumstances; against the threats to good remembrance, which are: accusations and ugliness of all kinds, the virtue of good remembrance for a Muslim goes beyond to include this world and the hereafter.

Keywords: good remembrance, Quranic stories, human values.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي حثنا على تدبر كتابه الحكيم، وتأمل مواعظه وقصصه، ووجهنا للنهل من معين حِكَمه، وبعد ذلك جعل لنا أجرا ونورا على تدبر آياته؛ فهذا من عظيم آلائه؛ وبعد:

فالقصص القرآني يعتبر مدرسة متكاملة لغرس الفضائل، وتعزيز الأخلاق؛ فجاء هذا البحث بعنوان: (**المحافظة على الذكْر الحسن؛ من خلال القصص القرآني**).

أهمية الدراسة:

تنبع من:

- أهمية تدبر القرآن الكريم؛ امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢].

- ضرورة البحث في القصص القرآني؛ فهو يجسد الواقع الإنساني في ضوء المنظور القرآني.

- الحاجة إلى تفعيل الهدايات القرآنية في واقعنا المعيش.

- ضرورة الانتفاع بالشخصيات التي سلط القرآن الكريم الضوء عليها والاقتداء بها؛ فهذا يساعدنا على التزام هدي الله ورضوانه.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في سؤال رئيسي؛ هو:

كيف عزز القصص القرآني المحافظة على الذكر الحسن؟

وعنه تنبثق أسئلة؛ منها:

- ما أهمية الذكر الحسن في الإسلام؟

- هل للصيت الحسن أثر على الفرد والمجتمع؟

-كيف عرض القرآن الكريم المنهج الأمثل في المحافظة على الذكر الحسن؟

أهداف الدراسة:

يقصد هذا البحث إلى:

١. تدبر القصص القرآني؛ حيازة لرضى الله تعالى، والكشف عن مواطن تعزيز المحافظة على الذكر الحسن.

٢. بيان كيف عرض القرآن الكريم هذه الفضيلة، وحث عليها من خلال القصص القرآني.

٣. تتبع الهدايات القرآنية المتعلقة بهذا السياق، وتفعيلها في الواقع المعيش.

٤. الانتفاع بالشخصيات القرآنية والاقتداء بها؛ بهدف الثبات على ما يرضي الله تعالى.

الدراسات السابقة:

بعد بحث طويل لم أعثر على دراسة تفسيرية تناولت هذا الموضوع بهذه الأهداف؛ إلا دراسات فقهية تناولت موضوع قاعدة الاحتياط لحفظ النفوس.

منهجية الدراسة:

تقتضي طبيعة هذا البحث استخدام المناهج البحثية الآتية:

-المنهج الاستقرائي الاستنباطي؛ وذلك باستقراء القصص القرآني؛ والوقوف عليها لاستنباط المواقف التي أشار إليها القرآن الكريم في المحافظة على الذكر الحسن.

-المنهج التحليلي؛ وذلك بتحليل تلك الآيات؛ والاستعانة بالكتب والمراجع المفسرة والمبينة لها.

- المنهج الوصفي؛ سيتم وصف الكيفية التي حث القرآن الكريم فيها على صيانة الذكر الحسن.

خطة الدراسة:

جاء هذا البحث بمقدمة ومبحثين وخاتمة؛ كما يأتي:

المقدمة وفيها أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة له، ومنهجية البحث فيه، ثم بيان خطته.

التمهيد: التعريف بالقصص القرآني.

المبحث الأول: الذكر الحسن: تعريفه، وأهمية المحافظة عليه وسبل اكتسابه؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالذكر الحسن وما يقاربه من مصطلحات

المطلب الثاني: أهمية المحافظة على الذكر الحسن، وسبل اكتسابه

المبحث الثاني: دور القصص القرآني في تعزيز المحافظة على الذكر الحسن؛ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحافظة على الذكر الحسن في مقام الاتهام

المطلب الثاني: المحافظة على الذكر الحسن باتقاء القبائح

الخاتمة، ومن ثم قائمة المصادر والمراجع

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد: التعريف بالقصص القرآني.

القصص في اللغة من مادة (قصص) وتدل على تتبع الشيء، واقتفاء أثره[١]، قال تعالى: ﴿وَقَالَت لِأُخته قُصِّيه﴾ [القصص: ١١] أي: تتبعي أثره وخبره(٢)، ﴿فَٱرتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] أي: تتبعا آثار قدميهما(٣)، ومنها القصة وجمعها قصص؛ سميت بذلك لما فيها من تتبع للأخبار والأحداث؛ ومنه قوله تعالى: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ ٱلقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، واشتق منه (القَصاص) هو أن يفعل بالجاني بمثل فعله بغيره؛ قال تعالى: ﴿وَلَكُم فِي ٱلقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلأَلبَٰبِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

إذن يستعمل القص في الأمور المعنوية والمادية(٤)؛ ففي الأول تتبع

---

[١] ينظر: محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ، ٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق: د رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، سنة: ١٩٨٧م، (ط ١)، ج١، ص١٤٢؛ وينظر: أبو النصر إسماعيل الجوهري (ت٣٩٣ هـ، ١٠٠٣م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، بيروت، دار الملايين، ١٩٨٧م، (ط٤)، ج٣، ص١٠٥١؛ ينظر: أبو الحسين أحمد ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ، ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م (ط١)، ج٥، ص١١؛ وينظر: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني(٥٠٢ه، ١١٠٨م)، المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار القلم، ١٤١٢ه(ط١)، ص٦٧١. (مادة قصص).

[٢] ينظر: محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨ه، ١١٤٣م)، الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ه(ط٣)، ج٣، ص٣٩٦.

[٣] ينظر: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ه، ٩٢٣م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصر، دار هجر، ٢٠٠١م، (ط١)، ج١٨، ص٥٢.

[٤] ينظر: ميادة رشدي عكاوي، منهجية دراسة القصص القرآني والقيم المستفادة (قصة امرأة عمران نموذجا)، المجلد٢٠ (٢)، ٢٠٢٣م، مجلة جامعة الشارقة، ٥٧٢-٥٩٨، ص٥٧٧.

الأخبار، وفي الثاني تتبع الشيء وأثره.

وأما القصص اصطلاحا؛ فهو: رواية ما جرى من الأنباء، وذكر تفاصيلها وإن طالت(١)، أو هي: تتبع الأحداث وسردها بالمحاكاة المنطوقة أو المكتوبة.

وفرق العلماء بين القصص بكسر القاف وفتحها(٢)؛ فالقِصص مفردها قِصة؛ وهي ما يكتب ويروى، أما (القَصص) بفتح القاف فهي ما يقوم القاصّ بتتبعه من أخبار ثم روايته.

(١) ينظر: عبد الحق بن غالب ابن عطية (٥٤٢هـ،١١٤٨م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، (ط١)، ج٣، ص٢١٩؛ وينظر: أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ، ١٠٠٥م)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد سليم، القاهرة، دار العلم، ١٩٩٨م(ط١)، ص٤٣٠؛ وينظر: أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ، ١٦٨٣)، الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م، (ط٢)، ص٧٣٤.

(٢) ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١٠٥١.

المبحث الأول: الذكر الحسن: تعريفه، وأهمية المحافظة عليه وسبل اكتسابه

المطلب الأول: التعريف بالذكر الحسن وما يقاربه من مصطلحات

الذكر في أصل اللغة من مادة (ذكر) ويدل على أصلين؛ الأول: خلاف الأنثى، والآخر: على خلاف النسيان، والصيت والثناء، ويكون إما باللسان أو بالقلب[١]، وهو المقصود في هذا المقام.

وهو في الاصطلاح: استحضار الشيء بالقلب أو اللسان وعدم نسيانه[٢]، أو ما يشتهر عن المرء من الثناء الحسن[٣]، سواء بالقلب أو اللسان أو فيهما معاً.

ووردت في القرآن الكريم مادة (ذكَر) مراراً، ودلّت على معانٍ منها[٤]:

١- استحضار المعرفة بالقلب أو اللسان أو بهما معاً، كقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

٢- الكتب السماوية(٥)؛ كما في قوله: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا

---

[١] ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ، ٧٨٦م)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، لبنان، دار ومكتبة الهلال، سنة: بلا، (ط بلا)، ج٥، ص٣٤٦؛ وينظر: الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٦٦٤-٦٦٥؛ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣٥٨-٣٥٩؛ وينظر: الأصفهاني، المفردات، ص٣٢٨. (مادة ذكر).

[٢] ينظر: الكفوي، الكليات، ص٤٥٦.

[٣] ينظر: إبراهيم الريس وآخرون، معجم المصطلحات الشرعية، الرياض، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ٢٠١٧م، (ط٢)، ٨٠٥.

[٤] ينظر: الأصفهاني، المفردات، ص٣٢٩.

[٥] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٢٢٧؛ وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٦٠٨؛ وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٣، ص٣٩٥؛ وينظر: عبد الرحمن بن ناصر

تَعلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤].

٣- وجود الشيء؛ كقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

٤- ضد الأنثى؛ كقوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١].

٥- الذم والعيب(١)؛ كما في قوله: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وأما كلمة (حسن) لغة فتدل على نقيض القبح والسوء، وما يميل إليه الطبع ويقبله(٢).

وبهذا يمكن تعريف مصطلح (الذِّكر الحَسن) -كمركب إضافي-؛ بأنه: **ما يقال ويسمع أو يستذكر في القلب؛ فيشتهر عن المرء من أخبار تميل إليها النفس وتقبلها.**

فعبارة: (ما يقال ويسمع أو يستذكر في القلب) ليشمل كل الوسائل التي تستخدم في نشر الذكر؛ فمنها ما يقال عن شخص ما بناء على رأي القائل الخاص، ومنها ما يسمع ويقر في الأذن، ومنها ما يستحضره القلب فينتشر بين

السعدي (١٣٧٦هـ،١٩٥٦م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، (ط١)، ج١، ص٤٤١.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٨، ص٤٦٠.

(٢) ينظر: محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ، ٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، (ط١)، ج٤، ص١٨٢؛ وينظر: الجوهري، الصحاح، ج٥، ص٢٠٩٩؛ وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٢، ص٥٧؛ وينظر: الكفوي، الكليات، ص٤٠٢.

الناس.

وعبارة: (من أخبار تميل إليها النفس وتقبلها) للدلالة على معنى الذكر الحسن دون القبيح؛ فالناس تتوق للتعرف على أصحاب الذكر الحسن، وتطمع بصحبتهم.

ويلحظ أن لفظ (الذكر) يحتمل الذم والثناء، واشتهر استعماله بالثناء الحسن، كما أن مصطلح (الذكر الحسن) لم يرد في القرآن الكريم، ولكن عُبّر عنه بعبارة: (لسان صدق) مرتين؛ في قوله تعالى:

- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠] في سياق الامتنان بالثناء الطيب على سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب(١) -عليهم السلام-.

- ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وردت في دعاء(٢) سيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

فعبر باللسان عن الذكر لأنه ناشئ عن هذه الجارحة(٣)، وكلا الوصفين ذكرا في سياق الحديث عن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- قدوة العالمين.

ومما يقارب (الذكر) في المعنى؛ لفظ: (الصيت) وهو لغةً من مادة (صوت) تدل في أصل اللغة على الجرس الذي تسمعه الأذن، أو ما وقر في آذان السامع من كلام(٤).

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٥، ص٥٥٧.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٧، ص٥٩٣.

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٢٢.

(٤) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ، ٧٨٦م)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، لبنان، دار ومكتبة الهلال، سنة: بلا، (ط بلا)، ج٧، ص١٤٦؛ وينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (مادة صوت)، ج٣، ص٣١٨؛ وينظر: محمد بن مكرم

وفي الاصطلاح؛ تعني: الذكر بين الناس، ويقال: رجل ذاع صيته، وعالي الصيت؛ أي: انتشر ذكره في الآفاق(١)، ورأى بعض اللغويين أن (الصيت) يستعمل في الذكر الحسن دون القبيح(٢)؛ ولكن بتأمل الحديث الوارد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: "ما من عبدٍ إلَّا ولهُ صِيتٌ في السماءِ، فإنْ كان صِيتُهُ في السماءِ حَسَنًا، وُضِعَ في الأرْضِ، وإنْ كان صِيتُهُ في السماءِ سيِّئًا، وُضِعَ في الأرْضِ"(٣)؛ فهذا يدل على كون (الصيت) غير مخصص للدلالة على الذكر الحسن فقط، وإنما يُستعمل في الحسن والقبيح.

ولقد وردت مادة (صوت) في القرآن الكريم ثمان مرات بمعنى الجرس المسموع(٤)؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ [لقمان: ١٩].

وعليه فـ(الذكر) أعم من (الصيت)؛ لشموله ما يقال أو يسمع أو يستحضر في القلب، بينما الصيت فيتناول المسموع بالدرجة الأولى.

ومما يقارب (الذكر) أيضاً؛ لفظ: (السُّمعة)(٥) وهو ما يسمعه الناس عن

ابن منظور (ت ٧١١هـ،١٣١١م)، لسان العرب، مادة (صوت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م(ط٣)، ج ٢، ص٥٨.

(١) ينظر: الكفوي، الكليات، ص٥٦٢؛ وينظر: أحمد مختار عمر، (ت ١٤٢٤، ٢٠٠٣م)، معجم اللغة العربية المعاصر، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، (ط١)، ج٢، ص١٣٣١.

(٢) ينظر: الجوهري، الصحاح، ج١، ص٢٥٧.

(٣) مسند البزار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، حديث: (٩٢٠٢)، ج١٦، ص١٢٠؛ وينظر: محمد بن ناصر الألباني (ت١٤٢٠، ١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م، (ط٣)، رقم الحديث: (٥٧٣٢)، ج٢، ص١٠٠٠.

(٤) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي (١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مصر، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ(ط١)، ص٤١٦.

(٥) ينظر: أحمد مختار عمر(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف

بعضهم من أخبار سواء حسنة أو سيئة، وتدل أيضاً على ما يقوله المرء طلباً لإعجاب الناس؛ كالمبالغة في مدح الآخرين وإطرائهم...، وهو أحد صور مراءاة الناس؛ فالرياء عامة يستعمل في الأقوال والأفعال كذلك[1]؛ والسمعة – بناء على ذلك– أخص من الذكر.

وبتأمل ما سبق يمكن القول بأن الفرق بين الصيت والسمعة؛ أن الصيت يُشعر بكونه أكثر ذيوعا من السمعة؛ لاعتماده على الصوت؛ فالأصوات ترفع به[2]، وقد يصل الصوت لجماعة من الناس ويتعداهم، أما السمعة فاعتمادها على السمع، والمرء لا يمكنه التركيز إلا بصوت واحد؛ ليستوعب فحوى المسموع؛ وعليه فالصيت أعم من السمعة. والله أعلم.

العربي، القاهرة، عالم الكتاب، ٢٠٠٨م، (ط١)، ج١، ص٤٥٨.

[1] ينظر: محمد بن علي التهانوي (١١٥٨هـ، ١٧٤٥م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م(ط١)، ج١، ص٩٧٥؛ وينظر: إبراهيم أنيس وآخرون (١٣٩٧ هـ،١٩٧٧م)، المعجم الوسيط، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢م (ط٢)، ج١، ص٤٥٠.

[2] ينظر: نجم الدين الغزي (١٠٦١هـ، ١٦٥١م)، حسن التنبه لما ورد في التشبه، سوريا، دار النوادر، ٢٠١١م، (ط١)، ج٤، ص٣٩١.

المطلب الثاني: أهمية المحافظة على الذكر الحسن، وسبل اكتسابه

عند التأمل بطبيعة البشر يظهر جلياً حبهم للثناء، والذكر الحسن، قال ابن نباتة السعدي[1]:

يهوَى الثّناءَ مبرِّزٌ ومقصِّرٌ حُبُّ الثّناءِ طبيعة الإنسانِ

ولكن ثمة فرق في هذا بين المؤمن وغيره؛ فالمؤمن يخلص أفعاله وأقواله لله تعالى، لا رياء الناس، وطلبا لثنائهم ومدحهم، حتى إذا تقبل الله عمله بسط له القبول في الأرض؛ فمدحوه وأثنوا عليه؛ فكان ذلك عاجل بشرى المؤمن[2]، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا أَحَبَّ اللهُّ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ"[3]، وعليه

---

[1] هو أبو نصر عبد العزيز، من فحول الشعراء، كان جزل الكلام فصيحه، توفي ٤٠٥هـ، ينظر: عبد الملك الثعالبي (٤٢٩ه، ١٠٣٨م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، (ط١)، ج٢، ص ٤٤٧؛ وينظر: أحمد الخطيب البغدادي (٤٦٣ه، ١٠٧٢م)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م، (ط٢)، ج١٠، ص٤٦٦.

[2] ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أثني على الصالح تلك بشرى ولا تضره، حديث (٢٦٤٢).

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث (٣٢٠٩)؛ وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبدا حببه لعباده، حديث (٢٦٣٧).

فيكون هذا الذكر الحسن له مؤشرا على قبول عمله؛ تشجيعا له وثتبيتاً على الاستمرار بما يرضي الله، فمن الطبيعي أن يسعد بذلك ويحبه.

وأما غير المؤمن فيبذل أقواله وأفعاله طلبا لرضوان غير الله، يرائي الناس، منتظرا منهم الشكر والمدح والمكافأة، فإن أثنوا عليه سُعد؛ لأنه ظفر بهدفه، فهؤلاء من أول الناس الذين يقضى عليهم يوم القيامة، كما أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم–[1].

وعليه فللذكر الحسن أهمية عظيمة لدى الإنسان بغض النظر عن مقاصده؛ فهو مما يمس عرضه، وهو من الضرورات الخمس التي حافظت عليها الشريعة وصانتها؛ ومن أوضح الأدلة على ذلك: تشريع حد القذف لمن اتهم الناس بالباطل، وأساء لسمعتهم؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

ومما يجلي أهمية المحافظة على الذكر الحسن للفرد والمجتمع– ما يأتي:

١– يعين على التزام كل ما يرضي الله تعالى سراً وعلانيةً؛ فالله تعالى لا يأمر إلا بما فيه مصلحة الناس وصلاح مآلهم، ومحافظة المسلم على ذكره الحسن بين الناس يستلزم التمسك بالأخلاق الطيبة في تعاملاته، وبذل الخيرات

---

[1] ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، حديث (١٩٠٥).

للجميع، ويقتضي كذلك إصلاح سره مع ربه؛ فلا فائدة من تحسين المرء صورته أمام الناس، وعلاقته مع ربه متهالكة، كما لا يقبل إصلاح العلاقة مع الله بكثرة العبادات مع إساءة معاملة الناس وإيذائهم.

٢- يساعد المسلم على التأثير في الآخرين إيجابياً[١]، فالنفوس تستقبل التوجيهات والنصائح من الفضلاء ذوي الذكر الحسن، ويهتمون لتطبيقها طمعاً في حيازة الفضل، فذو الذكر الحسن يعدّه الناس قدوة حسنة يراقبون سكناته وحركاته، ويتقبلون أقواله ويحاكون أفعاله؛ فالمسلم بهذا يكون داعية لله في كل أحواله.

٣- هو مؤشر للمسلم على محبة الله تعالى؛ فعندما يحرص على رضوان الله في سره وعلانيته، وأقواله وأفعاله؛ يحبه الله وإن أحبه بسط له القبول في الأرض؛ بدليل حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- سابق الذكر.

٤- يضمن للمسلم باباً للأجر بعد وفاته؛ فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن عمل المرء ينقطع بوفاته إلا من الأعمال الطيبة التي يبقى أجرها مستمرا بعده، قال -عليه السلام-: "إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً، عَسَّلَه"، قيل: وما عَسَّلَه؟ قال: "يفتح اللهُ له عَمَلاً صالحاً قبل موته، ثم يَقبِضَه عليه"[٢]؛

---

[١] ينظر: فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ، ١٢١٠م)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، (ط١)، ج٢٤، ص٥١٦.

[٢] أحمد بن حنبل، مسند أحمد، حديث أبي عنبة الخولاني، حديث (١٧٧٨٤)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: "صحيح لغيره".

فيختم الله للمسلم بالصالحات التي سيتذاكرها الناس من بعده؛ فيدعون له بالرحمة كلما تذكروا تلك الأعمال الطيبة، التي جعلت صيته عطرا بعد مماته، وهذا مما نشهده على أرض الواقع، فسيرة المرء بعد وفاته تبقى شاهدة عليه إن خيرا فخيرا؛ وإن شرا فشر.

٥-يضمن صلاح المجتمعات؛ فصلاحها يبدأ من صلاح الأفراد، فعندما يحرص كل فرد على صيانة ذكره؛ تتقوّم أفعاله وأقواله، إذ يفكر في عواقبها قبل صدورها عنه، فلو حاز كل فرد في المجتمع ذكرا حسنا في محيطه؛ كان مجتمعا خيّرا مباركا، وهذا من دلالات قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ **[آل عمران: ١١٠].**

وعليه فإن المتأمل لحال الإنسان يجد أن المحافظة على الذكر الطيب حاجة فطرية، وهي حاجة شرعية للمسلم؛ فبها يستعين على رضوان الله، وهي له كصمام الأمان لمصداقيته وثقة الناس فيه؛ فكان لزاما على المسلم معرفة سبل اكتساب الذكر الحسن؛ وأهمها:

- التزام أوامر الله تعالى ونواهيه في القرآن الكريم؛ فالله تعالى خلق الإنسان ويعلم ما يصلح شأنه وما يفسده، ولم يأمره إلا بما فيه خيره، ولم ينهاه إلا عن ما يفسده، وخير دليل على ذلك حماية الشارع للضرورات الخمس، فعندما يتوخى المسلم رضوان الله بتطبيق أوامره، ومجانبة نواهيه؛ حتما سيحوز خيري الدنيا والآخرة؛ حتى لو كرهت نفسه ذلك؛ قال تعالى: ﴿وعسى أَن

تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فشرع الله تعالى يسير على مبدأ التيسير؛ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ويهدف لتحقيق الخير للأفراد والمجتمعات.

- الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- والاستنان بسنته المطهرة، فما من أمر أو نهي صدر عنه -صلى الله عليه وسلم- إلا بوحي من الله سبحانه؛ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] ولقد امتثل أوامر الله سبحانه فـ"كانَ خُلُقُهُ القُرآنَ"[1]، ليثبت للناس إمكانية تطبيق شرع الله تعالى؛ فذاك لا ينافي بشريتهم، وفيه خيرهم وصلاح حالهم.

- تعلم العادات والتقاليد التي تعارف عليها الناس؛ إذ لا يقبل الناس التصرفات التي تخرق عاداتهم، فالله خلق الناس شعوبا وأمرهم بالتعارف فيما بينهم؛ فعندما يحترم المسلم عادات غيره مما لا يخاف شرع الله تعالى فهو يكسب ودهم، وثقتهم واحترامهم، ويصبح قريبا منهم مقبولا بينهم.

---

[1] أحمد بن حنبل، مسند أحمد، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث (٢٤٦٠١)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: " إسناده صحيح على شرط الشيخين".

المبحث الثاني: دور القصص القرآني في تعزيز المحافظة على الذكر الحسن

يربي القرآن الكريم المسلم على فضائل الأخلاق، ويزرع في نفسه كل ما يحقق له صلاح الدارين، فكانت فضيلة المحافظة على الذكر الحسن من أهم ما عني القرآن الكريم به؛ نظرا لأهميتها العظيمة وأثرها على الفرد والمجتمع.

وبتأمل الشرع الكريم يلحظ أن لاكتساب الذكر الحسن أدوات ووسائل عدة؛ منها:

- ❖ الأمر بتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له وحده، فبإصلاح المسلم علاقته مع ربه ينال بها حبه ورضوانه تعالى؛ وإذا أحب الله عبدا أيّده ووقاه وكفاه... وجعل له القبول في الأرض، فأحسنِ ذكرهِ وسيرته.
- ❖ الدعاء لله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿وقال ربُّكم ٱدعُونِيٓ أَستَجِب لَكُم﴾ [غافر: ٦٠]؛ فالدعاء عبادة يتقرب بها المسلم لربه، ومن خير ما يدعوه لنفسه: صلاح الحال وحسن الختام وكلاهما شديد الارتباط بالذكر الحسن.
- ❖ التمسك بالأخلاق الإسلامية عامة في كل حال ومقام مع جميع الناس، فهناك ما يزيد عن ألف آية قرآنية تدعو لأحسن الأخلاق التي تضمن استقامة الفرد وإصلاح المجتمعات.
- ❖ اتقاء مواطن الشبهات ومجانبة المحرمات، فهذا مما يكسب المسلم الذكر الطيب بين الناس؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فمن اتَّقى الشُّبُهاتِ استَبْرأَ لدينِهِ وعِرْضِه"[1].

---

[1] رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث (٥٢)؛ وينظر بمثله: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث (١٥٩٩).

❖ القوة في الدفاع عن النفس والذب عن العرض بالحجة والبرهان، وعدم التهاون فيما يؤذي سمعة المسلم، ويضر صيته بين الناس؛ سواء من قبل القاضي أو من الإنسان نفسه.

ولقد جاء القصص القرآني معززا للفضائل ومؤكدا عليها من خلال سرده للأحداث التى مر بها الأنبياء والصالحون من قبل؛ لتكون دروسا وعبرا تنير درب المسلم في كل زمان ومكان، عرضها القرآن الكريم نابضةً بأسلوب يلهب الحس، ويقنع العقل، فكانت هذه القصص بمثابة مدرسة إيمانية تبني مقومات الحياة الكريمة وفق شرع الله القويم.

وكان لا بد من تسليط الضوء على القصص القرآني، وبذل الجهود في تحليله، والتنقيب عن العبر من أحداثه، والانتفاع من الشخوص التى عرضها القرآن الكريم، والاعتبار بالمواقف التى مرت بهم، واستنباط الهدايات التى انطوت عليها قصصهم وتفعيلها في الواقع، والكشف عن القيم التي دعت إليها والعناية بها؛ فهذا من أهم عوامل إصلاح الفرد والمجتمع.

وفيما يأتي محاولة للكشف عن دور القصص في ترسيخ المحافظة على الذكر الحسن بين الناس في الأقوال أو الأفعال، وسيتم التسلسل بعرض الشواهد بحسب وضوح المقصود:

المطلب الأول: المحافظة على الذكر الحسن في مقام الاتهام

عرض القصص القرآني نماذج تعزز المحافظة على الذكر الحسن لدى المسلم بالقول والفعل؛ خاصة في المقامات التي يتهم فيها بالسوء؛ وفيما يأتي بيان بعض هذه النماذج:

١- حماية سيدنا يوسف -عليه السلام- لصيته الحسن أمام العزيز، بعدما اتهمته امرأته بمراودتها؛ قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ ... ﴾ [يوسف: ٢٣] فلما تمكن سيدنا يوسف من الباب؛ لقيا العزيز أمامهما، فبادرت المرأة باتهامه -عليه السلام- بما يسيء لسُمعته؛ لذب التهمة عن نفسها أمام زوجها، فلم يصمت سيدنا يوسف وإنما بذل وسعه في المحافظة على سيرته أمام من آواه وكفله؛ فقال: (هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ)، وما كان ليتلفظ بهذا، ولا ليظهر الأمر[1]، إلا بعدما اتهم بفعل القبيح وهو بريء، فقد رد تهمتها بصراحة دون تردد ولا تلعثم، وهذا يدل على صدقه؛ فالخائن لسيده يكون خائفاً قلقاً.

وتميز رده باشتماله على عدد من الدلالات؛ وهي كما يأتي:

- استفتح بالضمير (هي) للغائبة؛ فلولا اتهامها لما أظهر الأمر سترا عليها، وحياءً من أن يشير إليها بضمير الإشارة (هذه) أو المخاطب (أنت)،

---

[1] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٣، ص١٠٣؛ وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج١٨، ص٤٤٥.

وفيه إيماء بالإعراض عنها تقبيحا لفعلها[1]، وفي هذا إظهار للأدب الجم الذي تحلى به سيدنا يوسف -عليه السلام-؛ فهو لم ينس احترامه للبيت الذي آواه، ولم ينكر عطفهم عليه على الرغم من اتهامهم له بالباطل.

- استعمال الجملة الإسمية يدل على الثبوت والدوام[2] واستمرارية هذا الفعل منها وتكرره، ولم يقل: (راودتني عن نفسي).

- واستعمال الفعل (رود) الدال على السعي في طلب الشيء، بالنظر والمراقبة برفق ولين[3]؛ يدل على ترددها عليه ومحاولاتها المتكررة في استعطافه نحو المعصية.

فكل هذه الأمور نفاها سيدنا يوسف عن نفسه، حفاظاً على سمعته أمام العزيز، بجملة واحدة، وأسلوب بليغ مؤثر مفعم بالمؤكدات على براءته.

٢- وما ورد في قصص إخوة يوسف -عليه السلام- حين اتهموا بسرقة السقاية؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ

---

[1] ينظر: محمد بن يوسف أبو حيان(٧٤٥ه،١٣٤٤م)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م(ط١)، ج٦، ص٢٦٠؛ وينظر: شهاب الدين محمود الآلوسي(١٢٧٠ه، ١٨٥٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه(ط١)، ج٦، ص٤١٠.

[2] ينظر: محمد جلال الدين القزويني(ت ٧٣٩، ١٣٣٨م)، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م(ط١)، ص٨٦.

[3] ينظر: الفراهيدي، العين، ج٨، ص٦٤؛ وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٢، ص٤٥٧؛ وينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٣٧١. (مادة: رود).

أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ... كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يوسف: ٧٠-٧٥] حرص إخوة يوسف على سيرتهم عطرة بين الناس بدافع فطري ديني؛ فهم أبناء النبي يعقوب -عليه السلام- ويهمهم حفظ سمعتهم عن أي منقصة؛ وفي هذا الموقف اتهموا بسرقة الإناء الذي كان يشرب به الملك، ثم اتخذه صواعا يقدر به للناس الطعام[1]، فبادروا برد هذه التهمة؛ (قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ) يلحظ في قولهم توالي الأدلة على براءتهم من السرقة؛ وهي كما يأتي:

أ- صدروا كلامهم بأداة القسم (تالله)، والقسم بحرف التاء يدل على التعجب والتفخيم؛ فهي مؤكدة لاختصاصها بالله تعالى[2]، وبتتبع هذا القسم في القرآن الكريم يلحظ أن أكثر وروده كان على لسان إخوة يوسف -عليه السلام-؛ حيث ورد أربع مرات في سورة يوسف.

ب - **وجاء قسم ثانٍ[3] في قوله (لقد)؛ فهذه اللام تدل على تأكيد مدعاهم وبراءتهم.**

---

[1] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٢٦٤؛ وينظر: محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، ١٩٨٤م(ط ٣)، ج١٣، ص٢٧-٢٨؛ وينظر: محمد سيد طنطاوي(ت١٤٣١ه، ٢٠١٠م) الوسيط، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨م(ط١)، ج٧، ص٣٩٦.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٤٩٠؛ وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣، ص٢٩؛ وينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، الأردن، دار الفكر، ٢٠٠٠م(ط١)، ج٤، ص١٦٢-١٦٣.

[3] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣، ص٢٩؛ وينظر: محمود صافي(١٩٨٥م)، الجدول في إعراب القرآن، دمشق، دار الرشيد، ١٩٩٥م(ط٣)، ج٧، ص٣٤.

ت – حرف(قد) يدل على الإثبات والتحقيق والتوكيد لدخوله إلى الفعل الماضي (علمتم) لتأكيد ما اشتهِر عنهم في مسيرتهم في مصر؛ بأنهم لا يظلمون ولا يسرقون، فحرف (قد) الذي سُبق بلام القسم يفيد التأكيد وتقريب الماضي للحال[1]؛ فكأنما استحضروا ماضيهم الطيب وسيرتهم العطرة الخالية من الجرائم؛ ليستدلوا بها على براءتهم من حادثة السرقة.

ث– وعبارة (ما جئنا لنفسد) تدل على نفيهم عن أنفسهم فعل الفساد برمته، ويدل فعل (جئنا) على تحملهم المشقة للوصول إلى بلد العزيز؛ لذلك جيء بلفظ (جئنا) دون (أتينا)[2]؛ وكأنما استدلوا بالمشقة التي تكبدوها على نفيهم إرادة السرقة؛ فالسارق لا يكلف نفسه عناء السفر ليسرق.

ج– ثم كرروا نفيهم لتلك الشبهة عنهم بـ(ما كنا سارقين) تأكيدا على قولهم آنفا[3].

ثم عندما استفتى أصحاب سيدنا يوسف إخوتَه عن عقاب من وجدوا السقاية في رحله؛ رد إخوتُه بما يثبت براءتهم، وعدالتهم (قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ) وكان في شريعة سيدنا

---

[1] ينظر: يحيى بن زياد الفراء(٢٠٧ه،٨٢٢م) معاني القرآن، مصر، دار المصرية، (ط١)، ج٢، ص١٤؛ وينظر: يعيش بن علي ابن يعيش(ت٦٤٣ه، ١٢٤٥م)، شرح المفصل للزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م(ط١)، ج٥، ص٩٢؛ وينظر: محمد بن عبد الله ابن مالك(ت٦٧٢ه، ١٢٧٤م)، شرح تسهيل الفوائد، مصر، هجر للطباعة، ١٩٩٠م(ط١)، ج٢، ص٢٨؛ وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٣٠٤؛ وينظر: محمود أحمد الصغير، معاني الحرف (قد)، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، المجلد (٣) العدد ٢٩، ٢٠١٠م، ص٣٤٤-٣٤٥.

[2] ينظر: فاضل السامرائي، روائع البيان القرآني، https://albayanalqurany.com/clause / ، ٢٦/ ٦/ ٢٠٢٤م.

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص١٨٢.

يعقوب استعباد السارق، وأكدوا هذا بقولهم: (فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ)[١]، يظهر عدم خوف إخوته من نتيجة التقصي والبحث عن السارق، وهذا يدل على ثقتهم العالية في أنفسهم وصيتهم الطيب؛ فالمذنب يبقى متخوفا مترقبا العقاب، وتهتز ثقته بنفسه، ثم إنهم علقوا العقاب على وجدان الصاع لا على سرقته[٢]، ووافقوا على وصف السارق بالظلم وهذا مما يشعر ببراءتهم كذلك.

يلحظ إذن صيانة إخوة يوسف لذكرهم الحسن بالقول البليغ المشحون بالمؤكدات على براءتهم من كل نقيصة تستقبحها الفطر السليمة.

٣- صيانة الأنبياء لذكرهم الحسن برد تهمة الجنون والسفة والكذب التي رماهم بها أقوامهم؛ ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصص سيدنا نوح -عليه السلام- قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] اتهمه قومه بالضلال المبين؛ سعياً منهم لإضعافه وتفريق الناس من حوله عن دعوته، فقولهم (في ضلال) صوّروه كأنه منغمس في الضلال مستقر فيه لا ينفك عنه البتة[٣]؛ فحرف (في) يدل على الظرفية المكانية؛ فرد عليهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

---

[١] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٤٩١؛ وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٨٨؛ وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣، ص٣٠.

[٢] ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٣٠٤.

[٣] ينظر: أبو السعود العمادي (ت٩٨٢ه، ١٥٧٤م)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م(ط١)، ج٢، ص٥٠٢.

﴾ [الأعراف: ٦١] ويلحظ المتأمل:

- أدب سيدنا نوح وتلطفه في رده؛ إذ صدّر قوله بـ(يا قوم)، استعطافا لهم، وتأليفا لقلوبهم عساهم يرتدعون.

-نفى -عليه السلام- عن نفسه ما هو أدنى من الضلال وهي: (الضلالة)؛ للدلالة على مبالغته -عليه السلام- في صيانته لسمعته؛ فنفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى.

- ثم أتبع هذا النفي بحرف الاستدراك (لكن) لإثبات حسن سيرته[1]، وأنه يؤدي الرسالة التي كلف بها من الله تعالى. وبهذا دحض شبهة قومه بالقول البليغ القاطع، وصان ذكره عن الفساد والضلال بإثبات أشرف ما يتصف به بشر.

ومثل هذا يقال في قصص سيدنا هود-عليه السلام-، إذ رماه قومه بخفة العقل والكذب؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦] حيث صوّره قومه بأنه متلبس بسخافة العقل غير منفكة عنه؛ لأنه ترك عبادة قومه لدين آخر، وبالغوا في إساءتهم؛ فأكدوا قولهم بـ ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ سجل عليهم القرآن الكريم ادعاءهم المبني على الظن الفاسد؛ لأنهم يعلمون بقرارة

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، حاشية ابن المنير السكندري، ج٢، ص١١٣؛ وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٨٣.

أنفسهم صدقه وحسن سيرته(١)؛ فهذا من أسرار ورود فعل الظن في هذا السياق.

ثم جاء الرد البليغ من سيدنا هود -عليه السلام-: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧] فنفى عنه هذه التهم الشنيعة بأسلوب مفعم بالأدب الجم، غني بالعاطفة مؤكدا على حسن سيرته التي عهدها عنه قومه، ومثبتا وظيفته التي يسعى لأدائها على أكمل وجه؛ وهي تبليغ رسالة التوحيد لقومه كافة.

٤- ردة فعل السيدة مريم بعدما بشّرت بسيدنا عيسى -عليه السلام-؛ فقد علمتْ بأن قومها سينكرون عليها إتيانها بصبي وهي غير متزوجة، فأمرها الله بالتزام الصمت حيث كان في شريعتهم جواز الصمت قربة لله عن الكلام إلا عن ذكر الله(٢)؛ قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٦]

وبيّن العلماء أن سبب صمتها، واكتفائها بالإشارة لطفلها الذي بين ذراعيها؛ كان لسببين(٣):

---

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١١٦؛ وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٨٦؛ وينظر: طنطاوي، الوسيط، ج٥، ص٣٠٣.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٥، ص٥١٦؛ وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٥٢٩؛ وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦، ص٩٠.

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١١٦؛ وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢١،

- لضعف حجتها، فسيدنا عيسى -عليه السلام- سيكفيها مؤنة الرد عليهم، وإلقامهم الحجر، والمحافظة على عرضها وصيتها.
- تنزيها لنفسها عن الخوض في جدال السفهاء الذين يتهمونها بالفاحشة، وإشغالا لنفسها بذكر الله عن ذلك.

تعرضت السيدة مريم لفتنة مست سمعتها، وهي التي عرفت بنقائها وتقواها بين الناس، فدفعت الشبهة عن نفسها باتباع توجيهات الله تعالى؛ بالتزام الصمت أمام قومها، وكان من الطبيعي أن يمنعها خجلها من صيانة سمعتها والدفاع عن نفسها أمام قومها الغاضبين؛ فأمرها تعالى بالصمت أمامهم، حيث كان أفضل حل للذب عن عرضها فامتثلت لأمره سبحانه، فأنطق ولدها وتولى مهمة الدفاع عنها، وجعلها آية للعالمين حتى قيام الساعة.

هذه النماذج من قصص الأنبياء والصالحين تدل -بما لا مجال فيه للشك- على حرصهم الشديد في الذب عن سيرتهم، والمحافظة على ذكرهم حسنا طيبا في العالمين، دون إثارة لحفيظة قومهم، ولا شتمهم... وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة.

ص٥٢٩؛ وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٧، ص٢٥٦؛ وينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ، ١٤٨٠م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، سنة بلا، (ط بلا)، ج١٢، ص١٩٢.

المطلب الثاني: المحافظة على الذكر الحسن باتقاء القبائح

عزز القرآن الكريم المحافظة على الذكر الحسن أمام الفواحش، وفيما يأتي بعض النماذج المستنبطة من القصص القرآني التي تظهر عدم استهانة الأنبياء والصالحين بمقاربة ما يسيء لسمعتهم؛

١- عندما تعرض سيدنا يوسف -عليه السلام- لإغواء امرأة العزيز بادرها بالوعظ الحسن؛ فـ: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣] فإيمانه بالله تعالى، وحرصه على رضوانه جعله يمتنع عن ارتكاب الفاحشة؛ ما يدل على قوة إيمانه -عليه السلام-، وقوله هذا يحمل دلالات كثيرة؛ منها[١]:

- قوله: (معاذ) مفعول مطلق، وتقدير الجملة: أعوذ بالله معاذاً؛ وفيه دلالة على تأكيد[٢] اعتصامه -عليه السلام- بالله واستغاثته به مما تدعوه إليه من المنكرات العظيمة التي تستلزم الاستجارة بالله للخلاص منها؛ فهي مما يقبح سيرة المرء في الدارين، ويوجب غضب الله وعقابه.

- قوله: (إنه ربي...) التعليل الأول لامتناعه عن الفاحشة، يدل على التوكيد؛ لابتدائه بحرف التوكيد (إن)، والضمير المتصل اختلف فيه العلماء؛

---

[١] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص٣٢؛ وينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج٦، ص٤٠٢؛ وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٣٩؛ وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص٢٥٢.

[٢] ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج١، ص١٣٠-١٣١.

إما يعود على الله تعالى، أو على العزيز[1]؛ وعلى المعنيين ظهرت قوة إيمانه -عليه السلام- والتزامه طاعة الله؛ ونبذه للفاحشة وما يشين فعله.

- (إنه لا يفلح الظالمون) وهذا تعليل ثانٍ لامتناعه، بدأ -أيضا- بحرف التوكيد (إن)، وأطلق مسمى الظلم -وهو وضع الشيء في غير موضعه المناسب[2]- على من يقترف الفاحشة، ولم يخصصها بمن ظلم نفسه أو غيره... لحملها على العموم؛ فهو إن وافقها فيما تريد ضيع حقوق الله تعالى، وظلم نفسه، وظلم المرأة، وظلم سيده الذي وثق به وكفله.

- وبيّن حكم الله في الظالمين: بأنهم لا يفلحون؛ فالفلاح هو الفوز ونيل الخير الباقي أثره[3]، ومن هذا الخير الذكر الحسن، فالظالمون لا يكن لهم إلا الذكر السيء بين الناس في الحياة وبعد الوفاة.

إذن قاوم سيدنا يوسف -عليه السلام- الدعوة إلى الفاحشة بالقول، ثم انتقل إلى الفعل عند عدم استجابتها للموعظة؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا... وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ [يوسف: ٢٤-٢٥] فالهم لغة لا ينطوي

---

[1] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٢٣٣؛ وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٦، ص٢٥٧.

[2] ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٥، ص١٩٧٧؛ وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٣، ص٤٦٨.

[3] ينظر: الجوهري، الصحاح، ج١، ص٣٩٢؛ وينظر: العسكري، الفروق اللغوية، ص ٢١١.

على إنجاز الفعل وإتمامه؛ وإنما هو لا يتعدى ما يجول في النفس والخاطر[١].

واختلف العلماء في حقيقة همه -عليه السلام- ورجح الجمهور: أنه مال إليها بمقتضى الطبيعة دون مواقعة؛ كما يميل الصائم في الحر الشديد إلى الماء البارد؛ فلا يشربه، فهو -عليه السلام- ولم يكتف بدفعها وإبعادها عن نفسه وإنما حاول التقدم عليها في الجري نحو الباب الذي يمكنه الهروب من خلاله؛ ليفتحه قبل أن تصل إليه فتمنعه[٢]، ووزن فعل(استبقا) هو افتعل، ومن دلالاته الاجتهاد في طلب الشيء، والمبالغة فيه[٣] وكلها تشعر بالجهد الذي بذله سيدنا يوسف للتخلص من الفاحشة.

وعليه فهذان فعلان سجلتهما الآيات القرآنية يدلان على حرص يوسف -عليه السلام- على صيانة عرضه وذكره من الولوج في الباطل؛ سواء عصيان الله أو ارتكاب الزنا -والعياذ بالله-، أو خيانة من كفله وآواه...

وهذا ما وجهنا إليه النبي -صلى الله عليه وسلم-عندما قال: "من رأى

---

[١] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٣، ص٨١؛ وينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج٥، ص٢٤٨؛ وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٦٢١.

[٢] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص٣٤؛ وينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج٨، ص٣١٧؛ وينظر: ناصر الدين البيضاوي(٦٩١هـ، ١٢٩٢م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ(ط١)، ج٣، ص١٦٠؛ وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص٢٥٤.

[٣] ينظر: أحمد بن محمد الحملاوي(١٣٥١ه،١٩٣٢م)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن، الرياض، مكتبة الرشد، سنة بلا(د.ط)، ص٣٢-٣٣.

مُنكراً فليُغَيّره..."[1]؛ فهو بدأ بتغيير المنكر بلسانه، ثم انتقل للفعل عندما أدرك عدم انتفاعها بالموعظة؛ حتى كان فعله هو دليل براءته أمام العزيز عندما قدت قميصه من الخلف؛ فلما ثبت خطؤها بالدليل القاطع قال العزيز: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٨-٢٩] يلحظ -هنا- أن سيدنا يوسف -عليه السلام- صان سمعته بدافع إيماني؛ فخشي من الوقوع بما يغضب الله، بدليل قوله: (معاذ الله...) بينما كان منطق العزيز في صيانته لسمعته مختلفاً؛ حين قال: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ [يوسف: ٢٩] فبعد أن ثبتت التهمة على امرأته بأنها سعت لفعل الفاحشة، وهذا مما يسيء لسمعتها وزوجها بين الناس؛ طلب العزيز من يوسف كتم الموضوع وعدم الخوض فيه؛ قطعاً للشائعات[2]، فدافعه فطري؛ لئلا يذكره الناس وأهل بيته بالسوء، وينسبون له الفاحشة. والله أعلم.

٢- تخلي سيدنا يوسف -عليه السلام- عن حريته مقابل إعفاف نفسه، وهذا مما يحفظ الذكر الحسن للمرء؛ فعندما عاودت امرأة العزيز لمراودته وهددته أمام نسوة المدينة بالسجن[3]؛ فآثر السجن ودعا ربه: ﴿قَالَ رَبِّ

---

[1] ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، حديث (٤٩).

[2] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٤٧.

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص٨٧.

ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤] فالدعاء في هذا المقام هو خير ما يلجأ إليه المرء عند تعرضه لمثل هذه الابتلاءات، وهو من أسباب صيانة الذكر الطيب.

قام سيدنا يوسف بعقد موازنة بين الشهوة التي يدعونه إليها، والسجن الذي هددنه به؛ فاختار السجن وتخلى عن شهوة مرغوبة إلى أمر مكروه؛ خوفا من غضب الله، وارتكاب ما يلحق به الذم في الدنيا والآخرة[١].

وأطلق مسمى الجهل على نفسه إن قبِل مرادهن؛ والجهل في اللغة[٢] يحمل دلالتين: عكس العلم، والخفة في الشيء؛ فهو يشبّه نفسه بالجاهل، أو خفيف العقل إن ارتكب ما يحرم فعله.

ثم قال تعالى: (فاستجاب...) للدلالة على سرعة الاستجابة، فهو(السميع) لدعائه، ومراودتهن وتهديداتهن، (العليم) لما يصلح حاله ومآله؛ فاختاره له[٣].

٣- امتناع سيدنا يوسف عن المثول أمام الملك إلا بعد التحقيق بقضيته

---

[١] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٥١.

[٢] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج١، ص٤٨٩؛ وينظر: الأصفهاني، المفردات، ص٢٠٩.

[٣] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص٢٦٧.

التي سجن على إثرها؛ فلقد تشوق الملك لرؤيته -عليه السلام- بعدما عبر له الرؤيا التي شغلت عقله؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠] يلحظ أن سيدنا يوسف لم يسارع للخروج من السجن حال دعوته لبلاط الملك؛ لئلا يقف بين يديه في ثوب المذنب المستحق للسّجن، لذلك طالب بإجراء تحقيق في قضيته؛ فلما تبين الملك حقيقة أمره -عليه السلام-؛ أعاد استدعاءه: ﴿وقال ٱلملك ٱئتونى به ۦ أستخلصه لنفسى فلمَّا كلمه قال إنك ٱليوم لدينا مكين أمين ٥٤ قال ٱجعلنى على خزآئن ٱلأرض إنى حفيظٌ عليم ٥٥ وكذلك مكَّنا ليوسف فى ٱلأرض يتبوَّأ منها حيث يشآء نصيب برحمتنا من نَّشآء ولا نضيع أجر ٱلمحسنين ٥٦ ولأجر ٱلأخرة خير للَّذين ءامنوا وكانوا يتقون﴾ [يوسف: ٥٤-٥٧] ويلحظ أمور؛ منها:

- التحقيق الذي أجراه الملك كان بمثابة استعراض السيرة الذاتية الخاصة بسيدنا يوسف؛ فمن خلاله عرف براءته من التهمة التي أسندت إليه، وأدرك سمو أخلاقه؛ فهو عفيفٌ لم يقبل ارتكاب الفاحشة مع توفر دواعيها، ولم يصف اللائي أغوينه بما لا يليق، وأمينٌ لم يخن سيده في غيابه، وصابٌر ورع على تحمل مشقة المكث في السكن خوفا من الوقوع في المعصية.

-عندما عَبَر سيدنا يوسف رؤيا الملك؛ قال: (ٱئتونى به ۦ)، وبعد أن تم التحقيق في قضية سجنه أضاف عبارة: (أستخلصه لنفسى) ما يدل على رغبة الملك الشديدة في تقريب سيدنا يوسف إليه؛ بحيث يصبح من خاصته؛ فالسين

والتاء تدل على المبالغة[١]، وهذا يدل على فضل ذوي الصيت الحسن، وأن الناس يرغبون بصحبتهم والانتفاع بفضلهم.

- قول الملك: (إِنَّكَ ٱلۡيَومَ لَدَينَا مَكِينٌ أَمِين) يدل على إعجابه بسيدنا يوسف بعدما كلمه؛ حيث أنزله منزلة عظيمة ومنحه الثقة العالية[٢]، وأكد ذلك بمؤكدات كثيرة؛ كحرف (إن) وكلمة (اليوم).

- وفي قوله: (وَلَا نُضيعُ أَجرَ ٱلمُحسنينَ) شهادة الله تعالى بإحسانه وطاعته[٣] -عليه السلام-، والتأكيد على ثبوت الخير له في الدنيا والأجر في الآخرة.

- وقوله: (لِّلَّذينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُون) شهادة الله له بأنه راسخ الإيمان، ويتقي الله في كل أحواله[٤].

٤- دعاء سيدنا إبراهيم -عليه السلام- صيانةً لذكره الحسن في العالمين؛ قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٍ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] جاءت دعوته هذه -عليه السلام- في سياق دعوته لقومه إلى التوحيد؛ فبدأ بالثناء على الله

---

[١] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٢٥٥؛ وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣، ص٧.

[٢] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣، ص٧.

[٣] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص١٥١؛ وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣، ص٢٥٧؛ وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٧٦.

[٤] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣، ص١١.

وتعداد نعمه وفضله، ثم أتبعه بالطلب، ويلحظ أنه لم يطلب عرضا من أعراض الدنيا لزوالها، وإنما طلب ما فيه صلاحه في الدارين، فسأل الله الذكر الحسن وقبولا بين الناس يبقى إلى يوم الدين، بما أظهر الله له من خصال حسنة، ليكون قدوة للمتقين؛ فيحوز مثل أجورهم، وجاءت استجابة هذه الدعوة في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٨] فكل ملة عظمته -عليه السلام- وجاء سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين من ذرية سيدنا إبراهيم وعلى الحنيفية التي جاء بها[1].

يلحظ مما سبق حرص سيدنا إبراهيم -عليه السلام- على الصيت الطيب في الناس في حياته وحتى قيام الساعة، ولولا أهمية هذه الفضيلة لما دعا بها نبي، ولما حقق الله دعوته بها، فصيانته لصيته -عليه السلام- كان بالقول دعاء نابعا من قلبه، فالثناء الحسن الذي كنى عنه بـ(لسان صدق) وصفه بالصدق احترازا عن ضده؛ فالذكر قد يطلق على الحسن أو القبيح -كما تقرر سابقا-.

٣- استنكار السيدة مريم -عليها السلام- شبهة ارتكابها للفاحشة أمام

---

[1] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١٧، ص٥٩٤؛ وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤، ص٢٣٥؛ وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص٥١٦؛ وينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج١٤، ص٥٥؛ وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣، ص١٤٦.

الوحي عندما بشرها بمولد سيدنا عيسى -عليه السلام-؛ حيث: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٠] يلحظ[1]:

-إيراد الحرف (أنى) يتميز بقوة الاستفهام؛ لاشتماله على التشديد في وسطه، والسعة في الاستعمال؛ فكأنما سألت سؤالين معاً: من أين يكون لي غلام، وكيف يكون لي غلام؟

- إيراد الفعل المضارع (يمسس) دون الماضي؛ للدلالة على تجدد الفعل وتكراره؛ فحصول المس بين الرجل وزوجه قد يتكرر بشكل مستمر.

- نفي المضارع (يمسس) بـ(لم) الجازمة للدلالة على انتفاع الحدث في الماضي بصيغة الاستمرار؛ لأنها نفت حصول المس بينها وبين أي رجل؛ لكون العلاقة قد تتجدد بينهما باستمرار؛ فهي نفت حصولها أصلا.

- إيراد الفعل: (أك) وأصله: (أكن) في سياق إخبارها بمولد المسيح -عليه السلام- فيه مبالغة في نفي البغي عن نفسها، وإثبات حسن سلوكها؛ إذ يوحي باندفاعها في الرد على البشرى، وتنبيهها للمخبر بأنها عفيفة طاهرة، فيشعر قولها هذا بعدم قدرتها على إتمام الكلام لهول ما أخبرها به الوحي، أو لعدم رغبتها بإطالة الحديث مع رجل غريب في خلوتها حياءً منها.

حافظت السيدة مريم -عليها السلام- على حسن سيرتها بردٍ موجز بليغ

[1] ينظر: السامرائي، معاني النحو، ج١، ص٢١٤، ٢١٦، ج٤، ص ١٦٨، ٢٢٠-٢٢١

مفعم بالقوة والدفاع عن عرضها إزاء خبر إنجابها من غير زوج.

تبين مما سبق أن القصص القرآني قدم صورا مميزة لمنافحة الأنبياء والصالحين عن عرضهم وصيتهم بحسب ما يقتضيه المقام، ويستلزمه الحال الذي يمرون فيه، ونقل لنا القرآن الكريم قوتهم في دفع التهم عن أنفسهم، واتقائهم مواطن الشبهات، وقطعهم سبيل الشيطان معتصمين بالله تعالى؛ فكانوا نماذج ماثلة يقتدي بها المؤمن في كل مكان وعلى مر الزمان.

الخاتمـــة

انتهت هذه الدراسة إلى جملة نتائج؛ منها:

١. من الألفاظ المقاربة للذكر: الصيت والسّمعة، والأول أعم.

٢. الذكر الحسن هو: ما يقال ويسمع ويشتهر عن المرء من شيمه وكريم صفاته أخبار تميل إليها النفس وتقبلها.

٣. بيَّن القرآن الكريم (الذكر الحسن) بعبارة (لسان صدق) في موضعين تعلقا بسيدنا إبراهيم -عليه السلام-.

٤. دل القصص القرآني على حفظ الأنبياء والصالحين ذكرهم الحسن بكل أحوالهم.

٥. لصيانة الذكر الحسن سبيلان في كل المقامات؛ إما بالقول أو الفعل.

٦. للإنسان دافعان للمحافظة على الذكر الحسن: الدافع الفطري؛ ويشترك فيه عامة الناس الأسوياء، ودافع إيماني؛ يتميز به المؤمنون.

٧. مما يشوب الذكر الحسن كما بينه القصص القرآني: الاتهامات، والقبائح بشتى ألوانها.

٨. ركز القصص القرآني على أهمية العلاقة بين صيانة الذكر الحسن، والاعتصام بالله تعالى؛ بالدعاء وفعل الخيرات، والتمسك بالأخلاق الحميدة.

٩. الدعاء من أسباب تحصيل الذكر الحسن.

١٠. يتعدى فضل الذكر الحسن ليشمل الدنيا والآخرة، وحتى الذرية.

وتوصي هذه الدراسة بأمور منها:

- دراسة الموضوعات القرآنية ذات الأبعاد القيمية التربوية؛ ليتم تفعيلها على أرض الواقع.

- تطبيق الهدايات القرآنية المستنبطة من القرآن الكريم عامة، ومن القصص خاصة؛ لحاجة الأفراد والمجتمعات إليها، وتربية الأجيال على مثل هذه القيم لضمان مستقبل زاهر لهم.

قائمة المصادر والمراجع[1]

١. إبراهيم أنيس وآخرون (١٣٩٧ هـ١٩٧٧م)، المعجم الوسيط، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢م (ط٢).
٢. إبراهيم الريس وآخرون، معجم المصطلحات الشرعية، الرياض، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ٢٠١٧م، (ط٢).
٣. إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥ه، ١٤٨٠م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، سنة بلا، (ط بلا).
٤. أحمد بن حنبل (ت٢٤١- ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، (ط١).
٥. أحمد الخطيب البغدادي (٤٦٣ه، ١٠٧٢م)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م، (ط٢).
٦. أحمد بن عمرو البزار، مسند البزار البحر الزخار، المحقق: محفوظ الرحمن، وآخرون، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩م، (ط١).
٧. أحمد بن محمد الحملاوي(١٣٥١ه،١٩٣٢م)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن، الرياض، مكتبة الرشد، سنة بلا، (د.ط).
٨. أحمد مختار عمر (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، القاهرة، عالم الكتاب، ٢٠٠٨م، (ط١).
٩. أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤، ٢٠٠٣م)، معجم اللغة العربية المعاصر، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، (ط١).
١٠. أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ ١٦٨٣)، الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م، (ط٢).
١١. أبو الحسين أحمد ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، (مادة صوت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م(ط١).
١٢. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢ه، ١١٠٨م)، المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار القلم، ١٤١٢ه(ط١).

[1] بحسب الترتيب الهجائي؛ بتجاهل: أل التعريف ، وابن، وأبو.

١٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي١٧٥هـ ٧٨٦م)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، لبنان، دار ومكتبة الهلال، سنة: بلا، (ط بلا).
١٤. أبو السعود العمادي (ت٩٨٢ه، ١٥٧٤م)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م(ط١).
١٥. شهاب الدين محمود الآلوسي (١٢٧٠ه، ١٨٥٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه(ط١).
١٦. عبد الحق بن غالب ابن عطية (٥٤٢ه،١١٤٨م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م(ط١).
١٧. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦ه،١٩٥٦م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، (ط١).
١٨. عبد الملك الثعالبي (٤٢٩ه، ١٠٣٨م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، (ط١).
١٩. فاضل السامرائي، روائع البيان القرآني، https://albayanalqurany.com/clause/، ٢٠٢٤/٦/٢٦م.
٢٠. فاضل السامرائي، معاني النحو، الأردن، دار الفكر، ٢٠٠٠م(ط١).
٢١. فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ ١٢١٠م)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ (ط١).
٢٢. محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، ١٩٨٤م(ط ٣).
٢٣. محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦ه، ٨٧٠م)، الجامع الصحيح، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١١ه(ط١).
٢٤. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ه، ٩٢٣م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصر، دار هجر، ٢٠٠١م(ط١).
٢٥. محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ ٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق: د رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، سنة: ١٩٨٧م، (ط ١).

٢٦. محمد بن عبد الله ابن مالك (ت٦٧٢ه، ١٢٧٤م)، شرح تسهيل الفوائد، مصر، هجر للطباعة، ١٩٩٠م(ط١).
٢٧. محمد بن علي التهانوي (١١٥٨هـ ١٧٤٥م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م(ط١).
٢٨. محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ١٣١١م)، لسان العرب، مادة (صوت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م(ط٣).
٢٩. محمد بن ناصر الألباني (ت١٤٢٠، ١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م(ط٣).
٣٠. محمد بن يوسف أبو حيان (٧٤٥ه،١٣٤٤م)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م(ط١).
٣١. محمد جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩، ١٣٣٨م)، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م(ط١).
٣٢. محمد سيد طنطاوي (ت١٤٣١ه، ٢٠١٠م) الوسيط، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨م(ط١).
٣٣. محمد فؤاد عبد الباقي (١٣٨٨هـ ١٩٦٨م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مصر، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ(ط١).
٣٤. محمود أحمد الصغير، معاني الحرف (قد)، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، المجلد (٣) العدد ٢٩، ٢٠١٠م.
٣٥. محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨ه، ١١٤٣م)، الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ه(ط٣).
٣٦. محمود صافي(١٩٨٥م)، الجدول في إعراب القرآن، دمشق، دار الرشيد، ١٩٩٥م(ط٣).
٣٧. مسلم بن الحجاج (ت٢٦١ه، ٨٧٥م)، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٥م(ط١).
٣٨. ميادة رشدي عكاوي، منهجية دراسة القصص القرآني والقيم المستفادة (قصة امرأة عمران نموذجا)، المجلد (٢٠) العدد(٢)، ٢٠٢٣م، مجلة جامعة الشارقة، ٥٧٢-٥٩٨.

٣٩. ناصر الدين البيضاوي(٦٩١هـ ١٢٩٢م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ(ط١).

٤٠. نجم الدين الغزي (١٠٦١هـ ١٦٥١م)، حسن التنبه لما ورد في التشبه، سوريا، دار النوادر، ٢٠١١م، (ط١).

٤١. أبو النصر إسماعيل الجوهري (ت٣٩٣ هـ ١٠٠٣م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، بيروت، دار الملايين، ١٩٨٧م، (ط٤).

٤٢. أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ ١٠٠٥م)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد سليم، القاهرة، دار العلم، ١٩٩٨م(ط١).

٤٣. يحيى بن زياد الفراء(٢٠٧ه،٨٢٢م) معاني القرآن، مصر، دار المصرية، (ط١).

٤٤. يعيش بن علي ابن يعيش(ت٦٤٣ه، ١٢٤٥م)، شرح المفصل للزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م(ط١).